قوالب ومقاصد الشعر الشعبي في رثاء الحسين (عليه السلام)

الباحث رحيم سوارى

الأستاذ المشرف الدكتور عبدالرضا عطاشى

قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة آزاد الإسلامية فرع آبادان/ إيران

Templates and Objectives of Popular Poetry in the Lament of Al-Husayn (peace be upon him)

Researcher Rahim Swari

Supervisor Professor Dr. Abdel-Reda Atashi

Department of Arabic Language and Literature / Islamic Azad University Abadan Branch / Iran

abdolrezaattashi2014@gmail.co

Abstract:

The rise of Imam al-Husayn, peace be upon him, enriches intellect and culture in general, and literature and folk poetry in particular, because of their close association. Al-Manbari, Radud and the representative in the Husseini form take popular poetry as an effective tool to carry out his mission towards the reality of the dark child. From the poetry of Al-Husayni, what is impossible for the researcher of the limits and size, and this process that has spread over the centuries and since the martyrdom of Imam Hussein peace be upon him in Karbala in61 AH to this day, left us a huge legacy that requires careful consideration and investigation and scrutiny of the purposes and purposes, Anguish lesson and sadness inherent in the case Husseiniya does not depart from pro-it is natural that captures self-pity on a large area of this poetic production the large and from this point came this study according to the method of descriptive-Altjlای la to address this aspect and investigate the impact of this poetic purpose in folk poetry.

Key words: Lamentation, Popular Poetry, Al-Husayni Al-Husayni, Al-Shubaylah, Al-Tuf.

الملخص

لقد أسهمت نهضة الإمام الحسين عليه السلام بإثراء الفكر والثقافة عامة، والأدب والشعر الشعبي على وجه الخصوص، وذلك لوجود الإرتباط الوثيق بينهما.فنجد المنبري والرادود والممثل في التشبيه الحسيني يتخذ من الشعر الشعبي أداة مؤثرة للقيام بمهمته تجاه واقعة الطف الأليمة كما نجد في بطون الكتب والدواوين من الشعر الحسيني ما يعجز المستقصي للحدوده وحجمه، وهذه المسيرة ألتي امتدت على مرّ القرون ومنذ، استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء عام 61 هـ إلى يومنا هذا، خلّفت لنا موروثاً ضخماً يحتاج إلى إمعان نظر وتحقيق وتدقيق للوقوف على أغراضه ومقاصده، ولأنّ اللوعة والعبرة والحزن تلازم القضية الحسينية ولا تفارق الموالين فمن الطبيعي أن يستحوذ الرثاء على مساحة واسعة من هذا الإنتاج الشعري الكبير ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة وفقاً للمنهج الوصفي–التجليلي لمعالجة هذا الجانب واستقصاء أثر هذا الغرض الشعري في الشعر الشعبي.

الكلمات المفتاحية: الرثاء، الشعر الشعبي، التشبيه الحسيني، شعرالتشبيه، واقعة الطف.

المقدمة

بعدما أصيب المسلمون بالإحباط على أثر واقعة الطف الأليمة واستشهاد كوكبة من أبناء الوحي وعلى رأسهم الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) تأثر الوجدان الشعبي بفصولها المأساوية الموجعة لضميرالإنسانية، و أخذ هذا الشعور ينّبه الأمة ويوقضها من سباتها ويشعرها بأنّ قوى الخير ستبقى مستهدفة ما لم يقف الفكروالقلم والقريحة بوجه الظلم والإضطهاد والإقصاء وحرف المسيرة الإلهية وتقديم نسخة مزورة من الدين غير أنّ الأفكار والقلوب النيّرة بنور الإسلام الأصيل وقفت وثابرت وهذا ما تجسد وظهر بجلاء

في أرض الواقع في ميدان الشعرو الأدب، وبدأت ثورة الحسين (عليه السلام) تظهرمعطياتها وآثارها بعد عاشوراء مباشرة وآتت أكلها بشعرشعراء الشيعة فكان لمشاعرالندم والحسرة التي أصابت المسلمين ومنهم الشعراء الحجرالأساس في تولّد الرثاء الحسيني.

فكأنّ مقولة الحسين (عليه السلام) لأعداءه:«لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد» فجرت مشاعرالتمرّد على السلطة الجائرة، وقادت ألأمة نحو طريق الحرية، وكأن لوعة النساء والأطفال فجّرت المشاعربالحزن والتفجّع والأسى ومنها إنطلقت مسيرة الشعراء الملتزمين بالسير على نهج أبي عبدالله الحسين(عليه السلام) برفض الظلم وإذكاء القريحة لمظلوميته وأهل بيته وأصحابه.

وكأنّ الحديث القائل:«إنّ لقتل الحسين حرارة لاتبرد» أضفى مسحة خالدة وسرمدية من الحزن على نفوس ومشاعر الشعراء فتُرجم هذا الحزن والتحسُّر إلى قصائد بالفصحى والشعبية غصّت بها الدواوين وتفنّن شعراء اللهجة الشعبية في مجال إبداع الأنواع المختلفة من الشعر الرثائي فنظموا مقاصير الشعر كادارمي والأبوذيه والموال وغيره وكتبوا القصيدة والردة والنعي، والرثاء هو الغرض الشعري الذي استحوذ على الكثيرمن الشعرالشعبي وذلك لشدّة ما ألمّ بالموالين من ألم وأسى لقتل أئمّة الهدى وخلفاء الرسول الأكرم صلوات الله عليه وعليهم وعلى الأخص فاجعة كربلاء واستشهاد أبي عبدالله الحسين عليه السلام والذي أدمى القلوب واجرى العيون، وجيّش عواطف ومشاعرالشعراء فترجمها إلى كم هائل من القصائدالشعرية كُتبت على أنواع مختلفة من الشعرالشعبي والقيت على المنصّات والمنابروفي مراسيم اللطم والعزاء الحسيني وجسّدت قول جده صلى الله وعليه واله فيه بأجلى صورة.

في هذا المقال نطرح ثلاثة أسئلة محاولين الإجابة عليها بعد مناقشتها وهي:

أولاً: ماهي الأنواع الشعرية التقليدية التي استخدمها الشعراء في هذا الغرض

ثانياً:ماهي الأنواع الشعرية المبتدعة من قبل الشعراء الشعبيين وماهي ساحات استخدامها؟

ثالثاً: ماهي المقاصد التي قصدها الشعرالشعبي في رثاء الحسين وأهل بيته عليه وعليهم السلام.

أضرب الشعرالشعبي الرثائي

شعر المنصة:

استخدم الشعراء هذا الغرض في قصيدة المنصة كما استخدموه في قصيدة (الرده) أو اللطمية، وهذان القالبان من الشعر الرثائي ينظمان لغاية الإلقاء من على المنصة وغالباً ما يكون الإلقاء بواسطة الشاعر نفسه، وقد ينظم الشاعر القصيدة لا لإلقاءها من على منصة أو في مهرجان بل يصوغها كما أسلفنا بهدف تقديمها لرّادود الحسيني وقد يتكفل الشاعر نفسه وضع اللحن المناسب لها وفي بعض الأحيان يترك المجال للرادود لتلحينها و قراءتها بصوت يناسب نصها، هذه القصائد تُنظم بصدق وإيمان من الشاعر ولذلك تجدها مشحونة بالعاطفة الصادقة لا يشوبها نفاق ولا رياء ولاتكسُّب، لأن ناظمها يعلم علم اليقين أنه مثاب بحكم الحديث الوارد من الإمام جعفر الصادق عليه السلام ونصه:"من قال فينا بيتاً بنى الله له بيتاً في الجنة".

يلرايد صحيح اتشوف الاسلام
فک عين الگلب وانظر للحسين
تشوف الله ورسوله ونص الكتاب
وهو هاذ الاسلام العدل والدين
جِد خلف الحسين اتنول المراد
خل گلبک قوي ولا عزمک ايلين
لا تستوحش القلّة الـــوفّاد
ولو سارت ابدرب الغي ملايين
اركب بالسفينه احسين ينجيک
صدگ طوفان لتغشّک شياطين(الساري، ١٣٩٧ش:٩٣)

وكما ينظم الشاعرالشعبي القصيدة للإلقاء أو الردة، ينظم سائر الأنواع الشعرية الأخرى، وهي مقاصير الشعر الشعبي.

الموال(الزهيري)

أختلف في سبب تسميته بهذا الإسم، فقيل سمي به لموالات قوافيه بعضها ببعض، وقيل سمّي بذلك لأنّ أول من نطق به موالي بني برمك، وكان أحدهم إذا نطق به ونعى مواليه قال: يا مواليا، وهذا هو الأصح.

(الخاقاني، 1418ق:١٦)النايل من الأوزان التي يُعتقد أن أول من كتبها أمراة من قبيلة بني عذرة وذلك بعد أن حرمت من حبيبها المدعو (نايل) فبدأت تترنم باسمه بأنغام غنائية موالية جديدة على المسامع مما فجّر ذلك النغم الحزين الذي جاء على لسانها ينبوعاً جديداً من الشعر الشعبي وبهذا وُلد وزن جديد أضيف إلى ما سبقه من أوزان الشعر العامّي، كما أضاف فخراً جديداً الى سجل انجازات المرأة في مجال الشعر الشعبي، يرد هذا الوزن الشعري الى بحر البسيط ويكتب بتفعيلتين ومع دخول بعض التطوير والأضافة عليه حديثا ولكننا هنا بصدد تثبيت وزنا الموال أو النايل وهما:

١ـ مستفعلن فاعلن.. مستفعلن فاعل

٢ـ مستفعلن فاعلن. .مستفعلن فعلان

يا محجرالعين من دم للدمع صب صب
لن راحلين الذي گلبي لهم صب صب
عنّي أو سهم الهجر لحشاشتي صب صب
گوطر ضعنهم وانه ما أدري بيه حلوين
يا گلبي زيد البچي واصرخ ولك حلوين
كلهم أماجد هلك كلهم هلك حلوين
حتّه الشهد هلصبح من عگبهم صب صب

(المشعلي، ١٤٢٨ق:١٤٢)

الأبوذية: لطال ما فجّرت الأبوذية المحتفلين بالبكاء لغزارة العاطفة التي تحملها، وهوشعر اشتُقّ اسمه كما ذهب البعض من الأذى، فأصبح محملاً جيّداً للرثاء ولذلك استخدمه الشعراء بصورة واسعة في شعرهم الحسيني ومنه قول بعضهم حينما استولد من رحم الشعر الفصيح شعراً شعبياً في قالب الأبوذية.

أنا دُرّ مــِنَ السَّماءِ نَثَروني يَــوْمَ تَزْويجِ وَالِد السّبْطَينِ
كُنتُ أصفى مِنَ اللّجَينِ بَياضاً صَبَغَتْني دِمَــاءُ نَحرِالْحُسين
أنَه دُرِّ السِّمَه الْمَعْروف وَصْفَه
نِثْروني وصِرت لِلنّاس وَصْفَه
أبْيَضْ چِنت مِنّ الفضّه وَصْفَه
صُبَغني دَم نَحَر روحِ الزّچِيَّه(الجابري، ١٤١١ق:١٣٠)

وهذا شاعر شعبي آخر يرثي رسول الحسين إلى الكوفة مسلم بن عقيل بن أبي طالب والذي استشهد في الكوفة قبل واقعة الطف بأيّام:

يمسلم خان بيك البلد وهله بعد ما رحّبت حيّاك وهله
حگي اعليك اصب الدمع وهله وحيد او جابليت اجيوش أميه

(الكروشاوي، 1433ق:26)

ومثال التجليبة في الرثاء واللتي تُنظم على وزن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيل:

يِضَل صُوتِ الْحسينِ ابْضَامِري رَنّانْ
وَلَـــوتِغْذِلْنِي ابْنُوحا الإنِس وِالْجانْ
الحسين أصْبَح مَنــارولِلْعَدِل مِيزَانْ
عِدَل مِيلِ الشَّرَع والْعَدُو گَصْ عِيبَه

وهذا شاعر شعبي آخرينشد عن لسان حال الحوراء زينب سلام الله عليها في قالب الـ«ميمر» المبتدع على وزن:مستفعلن مستفعلن مفعولن (مفعولات) ليفجر عيون الموالين بالدموع:

مــَايُوم سِكّانِ الْوَكِت دَارِنّه وَايَّامَـــه مَايُوم اِبفَرِد دَارنّه
چــَانَت مِزهِرَه بِالزلم دارنّه كلهم جثث صارو ونامـو بالبر

ويجدالشاعر الشعبي مساحة للتعبير عن إحساسه بالحزن العميق في شعرأصطلح على تسميته بالهات وهو يُؤلّف على وزن ابتدعه شعراء الدارج تفعيلاته كالآتي: فاعلاتن فاعلاتن فاعلات، ويرجع هذا الوزن الشعري إلى بحر الرمل.

صب يدمع العين من دم لا تِجِف
ونوح ياناعي النــوايب لاتِجِف
احسين دينک يلمــوالي لاتِجِف
ابغير نهج احسين متفيد الصلات(المصدر السابق:١٢٠)

والنوع الآخر من الشعر الشعبي الذي وظفه الشاعر الشعبي في هذا الغرض هونوع حديث يُسمى «الومضة» وهو شعرقصيرجداً وقد يتكون من شطر أو شطرين أواكثر وينتهي بانتهاء الرسالة التي يريدالشاعر ايصالها للمتلقي بإيجاز شديد وذلك نظيرهذه الومضة في رثاء الإمام الحسين(ع):

بِالطَّفْ صَحْ يَزِيدِ الْحــَارَبِ احْسين
وصِـدِگ چـَانَو يِسَمّـونِه خَليفَـه
لَچَنّـه الصَّاغْ اَمْرِ الْحَرِب وِالْجِيش
وَحَگ رَاسِ الِحْسِين اهْلِ السَّقيفه

ولطالما ترنّم الموالون بـ«الهوسة » في أيّام محرم الحرام وباقي المناسبات الحزينة وهي تمتاز عن سائر أنواع الشعر الشعبي بمشاركة ومواكبة الجمهور مع شاعرها أو مؤديها والذي يُسّمى المهوال و شطرالهوسة الأخيرالمصطلح على تسميته بالرباط يأتي دائماً على وزن: فعلن فعلن فعلن

من خلصت انصار احسين كلهه وكل اهل بيته
رگه اعله امطّهمه وشد هد شبل المرتفع صيته
رفع أوّل الجيش أو غاص بيه ذبّه اعله تاليته
شاهر سيفه ايطبّر بيه اشحدّه اليوگف
(المشعلي، اسماعيل1428ق:١٣٠)
اِلدَّگ سَاسِ الْمَراجِل بِلوَغَى عَباسْ
وغِدَه كَعْبَة وِفَه وِاتْدور بِيهِ النَّاسْ
اِشْكِثِر جَنْدَل ابْسَاحَاتِ الْحرب فُرّاسْ
يَامَا سِيفَه حَزْ بِيهِ ارْگَبْ(الساري، 1388ش:٤٥-٤٤)

الدارمي:وهو شعر قصير يتألّف من بيت واحد على وزن مبتدع وهو:مستفعلن فعلان مستفعلاتن (مستفعلاتان) يحتوي على فكرة تامّه وقد وظّف شعراء اللهجة الشعبية هذا النوع من الشعر الشعبي لرثاء شهداء واقعة الطف وللدارمي هواته الذين يفرغون ألمهم بفقد إعزتهم فيه ويرثون أئمتهم بحرارة وألم وفى مايلي نموذجان للدارمي في رثاء أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

هل دم يدمع العين لا لا تهل ماي

والكربله آنه اشلون ما تيّه الراي (الساري، ٢٠١٨م:٦٠)

صُبْ يَا دَمِع مِدرارْ صُبْ دَم عَلَه الزّينْ

مَافِجَع گلْبي امْصَاب بَسْ فَگْدِ الِحسينْ(المصدر السابق:١٤)

النعي:ولا نبالغ إذا قلنا أنّ لشعرالنعي الشعبي حصة الأسد من الشعرالرثائي الحسيني وغيره إذ أنّ هذا النوع من الشعر يؤدى بحرارة وتفّجع منقطعي النظير، وغالباً ما يقرأه أصحاب الأصوات الشجية من الرجال والنساء.

يَلمُهُر شُو جَـايٍ اتَّعَثَّرْ

لِلْخِيَمْ وِاعْلِيهَـا اتِّفَكَّـر

وَيّـاک چَنْ جَايِبْ خَبَرشَر

يَلْمُهُـــر دَمْعَك لَيْتَحَـدَّر

گِلّـــي اِشْجَرَه الْعَالَم تَغَيَّر

وَاسْمَعْ هَظِل وِاصْيـاحْ گَبَّر

شِنْهوالشَّمِس خَرّت يَمَكدر

لـُو سُورْنِه الْعَالي تِكَسَّر

اِنْچـان اِنْچِتَل وَالِد الاكْبَر

يَاهو الْبِضَل لِلْحَرَم مَكَور

خَاف الشْمِل كِلّه اِيْتِطَشّر

اِوْهَـاي اِلخِيَم بِلنّارتِسْعَر

لاچِـنْ گَبل هَجْمَة العَسكَر

اَمْشـي اِبيتامَه اِحْسين لِلْبَر(الديراوي، 1409ق:١١٠)

-قصيدة الردة (اللطمية)

من أبرز سمات الشعر الشعبي الحسيني الصدق في العاطفة وعدم التكسّب وكتابته رجاء تحصيل الثواب، لذلك ترى شعراء الشعر الدارج يتسابقون ويتنافسون على كتابة القصائد في رثاء أهل البيت عليهم السلام بطيب النفس وتمام التواضع والإخلاص وتقديمها إلى المداحين والرواديد، و في ما يلي نأخذ جانباً من القصائد والردات الحسينية التي نظمها شعراء الشعر الشعبي.

اِشْلـُـونْ صـَـارَت حَالِتِچ يَمْخَدَّرَه ابْيـُومْ اُخُـوچٍ احْسِينْ حَزَّو مَنْحَرَه

إنْتِي مُو بِنتِ النَّبِي الْهادي الرَّسولْ؟ وِانْتِـي اُمِّـچْ فاطمه الزَّهرا الْبَتولْ

اِنْتِي مُـوعُودِچْ عَلي فَحْلِ الْفُحُـولْ؟ وِبْمُصيبَةْ كَـربَله چـَا مـا دَرَه؟؟

عَجَب حيدر مـَا حِضَرلِچْ بِلمُصابْ وِهْـوَ صَدرَه مَمْلِـي اِبْعِلِم الْكِتـَابْ

مـَا نَخِيتِي حَيدَرَه داحـي الْبابْ؟ يِعتِنِـي لِبْنَـه ويشيلَه امْـنِ الثَّـرَه

اِشْلـُون صـَارَت حَالِتِچ بَعدِ الْأهَلْ؟ خَلَّصـو شو كِلْهم البيهم أمَـلْ

اِنّـوبْ رِحتِي امْيَسَّرَه فُوگِ الجِمَلْ اِشْلونْ يازينب صُبَرْتِي اعْلَه الْجَرَه

اِشْلون مِنْ حَادي الضَّعَنْ نَوَّه بِشِيلْ اِشْگِلتِـي وعَاتَبْتِـي عباس الْكَفِيلْ
أظَــنْ گِلْتيلَه الْحِمِـل لَمَّـنْ بِمِيلْ مِنهُـو اِبْعِدلِه يَسَبْـعِ الْگَنطَرَه

(العفراوي، بلاتا:١٤١)

والقصيدة التالية أيضاً نُظّمت على شكل «ردّة» أو ما اصطلح عليه محلياً «لطمية» وهي ليست للإلقاء على المنصة بل كتبت خصيصاً للرواديد، يؤدّيها شخص يمتلك صوتاً جميلاً وفيه شئ من الخشعة ليستثير عواطف الحاضرين في مجلس اللطم.

حَيْ عقيل وضِنوتَه الْجِيدومَه مِثِل يُوم احسين ثَابِت يُومَهْ
احسين كَلَّفْ اِبِن عَمَّه ابْهَل الأمْرْ وِعْتِنِه الْكوفانْهِه ايريد النَّصِرْ
ايريد يِنْجيهَا مْنَ هَاليتِ الْغَدِر الطّاغِيَه وذاكِ الْغَبِى واسْمُومَه
مِن وُصَل لَلْكُوفَه حَيّتله الزِّلِم وخَبّرَاهُم عَنْ اَبو الْيِمَّه الشَّهِم
اَرْدَ اگِلِلْكُم وَازيدَنْكُم عِلِـم تِبْگَه هَايِ اسْرَاركُم مَكتومَه
لَچَن وَسْفَه خَالِفَت كِل الوعود ونِكرَتِ الدِّينِ ومَواثيقِ الْعُهودْ
بَعَد ذاكَ الْعَهَد صَارولَهْ صُدودْ وَصْبَحَت بِين الْخَلَگ مَذْمُومَه
وِينْهِه الْگَالَت يِجِينِه احْسينْها وتِدِّعِي بِلْگال وِين و وِينْها
لابِسَه اثْياب الشَّهاده الْدينْها وكِلْ فَرِدْ مِنْهُم عِلَن مَفْهُومه
اِلْبَايِعَو خَائَو ونِكـرَو بَيْعِتَه يا أسَفْ لَفّــو بِديهُم رايِتَه
وِينْهَه اجْموعِ الاِجَتَّه وحَقِّتَه وگَالَو اِحْنَه بْاَوَّلِ الْمَلْزُومَه

(العفراوي، 1389ش:٩٠-٨٩)

وهذا نموذج آخر من الردة (اللطمية) الحسينية:

رايه واچفوف بلطفوف طريحه اعله النّهر
سهم البعين تره احسين كسر منّه الظهر
حيّرتني عذّبتني عباس
عتبي إوياك يعبّاس عفتني بين الارجاس يمغوار وحيده ومعوله
انته سردال الحرب تقبل اختك تنضرب(الباوي١٣٩٢ش:٧٢)

ولطالما تقمص الشعراء شخصية الأمهات الثكالى في واقعة كربلاء وفي مايلي قصيدة عن لسان السيدة رملة أم القاسم بن الحسن عليهم السلام.

شنهو ضل عندي بعد شنهو ضل عندي بعد
عگب عينك يلـولد شنهو ضل عندي بعد
يمّه اطلبك بالــرّبه تعبـي وسهـر الليـال
الليــل كلّه امحنبه والوسن من عيني شال
جبت عمري امعذّبه آنــه واهمـومي جـدال
وانظر أيّــام السعد شنهـو ضل عندي بعد

شنهو ضل عندي بعد(الموسوي، سيدمهدي١٤٢٨ق، ص:٦٩)

شعرالتشبيه الحسيني(الشعرالمسرحي)

درج عامة العرب الموالين لأهل البيت (عليهم السلام) في محافظة خوزستان الإيرانية وفي المحافظات الشيعية في دولة العراق على اقامة مراسيم تمثيلية تشبه المسرحية وذلك في العاشر(يوم الواقعة) واليوم الثاني عشر (دفن الأجسادالطاهرة) من شهر محرم وايضاً في اربعينية الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر، وفي هذه المراسيم يتكلم الممثلون باللغة الفصحى خلال أدائهم الأدوار المعدة لهم من قبل طبقاً لما نُصّ عليه في التواريخ والمقاتل ويتخلل هذه الأدوار اشعار باللهجة الدارجة لشرح الموقف وإيصاله لمن لا يفهم الفصحى ولغرض تهييج العواطف الولائية واستدرار الدموع، ولذلك ينظم بعض شعراء اللهجة الأهوازية شعراً خاصاً بالتشبيه الحسيني و الذي يُقام كل عام في العاشر من محرم الحرام يوم واقعة الطف الأليمة، واستشهاد الحسين بن علي عليهما السلام وكوكبة من اهل بيته واصحابه.

يحاول الممثلون في هذا التشبيه تجسيد المشاهد المؤلمة والمفجعة لغرض ايصال هذه الصورة لجموع الناس المحتشدة في مكان اجراء التشبيه والذي غالباً ما يكون في خارج المدينة، ولتمثيل هذه الأدوار يحتاج الممثلون الى الأراجيز التي ارتجز بها المقاتلون من الطرفين في تلك الواقعة وقد تكون هذه الأراجيز قد سجّلت في الكتب التاريخية والمقاتل ولكن كونها نظمت باللغة الفصحى يصعب فهمها على الجماهير الحاضرة في هذا المسرح، لذا ابتكر الشعراء الشعبيون اشعاراً تحمل نفس المعانى ولكن بألفاظ عاميّة يسهل فهمها لدى المتلقين، وحسب الأدوار الموزعة على الممثلين تكتب هذه الأشعار، وبها يعرّف المقاتل نفسه ويرتجز ويفتخر على خصمه وقد يصمه بعيوب درج على قولها المقاتلون.

موقف قبل المعركة:

وأقبل شمربن ذي الجوشن(لع) فنادى بنوأُختي عبدالله وجعفر والعباس وعثمان فقال الحسين (عليه السلام) أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنّه بعض أخوالكم فقالوا له ما شأنك فقال يابني أختي أنتم آمنون لا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين وألزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد. فناداه العباس بن علي(عليه السلام):تبّت ولعن ما جئتنا به من أمانك يا عدوّ الله أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمه (عليهما السلام) وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء. فرجع الشمر(لع) إلى عسكره مغضباً.(إبن طاووس، ١٩٩٣م:٥٤)

فجاء الشاعر الشعبي مصوراً ذلك الموقف وتلك المحاورة بريشة الشعر الشعبي:

ما اسمحلك تدّعي ابچلمة الخال ولاتعلّي الصوت وتروع العيال
هاذ مطلوبك بين جوشن محال الرايـه بيـدي وآنـه ابـن كرارها
يا شمـر بسّك ولا تحچي بعد مـــا تهمني اخيولها وكثر العدد
اليوم للكـرار اوفـــي بلعهد والكفـالـه هلـــوصل ميحانها
الخيم مكفوله وهاشم بلوجود وســـالم العباس وعليه الزنود
ياهو اليگدريجي ويدنه الحدود وعملتي بالـــگنطره اتذكرونها
روح راجع نفسك ابهاذ الكلام خلي كوفتكم تجي ويفزع الشام
آنه ابوفاضل امجرب بالصدام وين منّي اوجـــوهكم تنطوها

(الساري، ٢٠٠١م:٧٠)

ثم يأتي دور العقيلة زينب– سلام الله عليها– لتستفهم من العباس –عليه السلام–عن ما دار بينه وبين الحسين–عليه السلام–فتنشئ قائلة:

يعباس ريضلي اعله هونك
اشعدكم اعداك ويندبونك
أخاف امن أختّك يفردونك

لوني إنخطف يا بعد لونك

من الجدير ذكره أن النوع الشعري المستخدم في تأدية أدوار النساء هو «النعي» غالباً وذلك لمايحتويه هذا النوع من الشعر الشعبي من عاطفة ولوعة وشجن.

مواقف المعركة

وتقدّم عمربن سعدنحو عسكر الحسين ورمى بسهم وقال:إشهدولي عند الأميرأنّي أول من رمى، ثم رمى الناس، فلم يبقى من أصحاب الحسين أحد إلا أصابه من سهامهم.

فقال الحسين –عليه السلام–لأصحابه:قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لابدّ منه، فإنّ هذه السهام رُسُل القوم إليكم فحمل أصحابه حملة واحدة واقتتلوا ساعة فما انجلت الغبرة إلا عن خمسين صريعاً من أصحاب أبي عبدالله.

ولتبيين هذا الموقف واستدرار الدموع يقوم أحد الممثلين بقراءة أشعار شعبية بصوت حزين وفيما يأتي أشعار شعبية من نوع النعي تشرح الموقف وتأبّن شهداء الطف:

گِضَو حَگِ العليهم دون الخيام
ولاخلّو خوات احسين تنضام
لَمَنْ طَاحَو تِفَايَض مِنْهُمِ الْهَامْ
تَهاوَوْ مِثْلْ مَهْوَه النَّجِمْ مِنْ خَرْ
هـــاذَه الرُمُح بِقّادَه تِثَنَّه
وهاذَه الْخِيلْ صَدْرَه رَضْرِضَنّه
وهــاذه وذاك بلهندي اموذّر(الكعبي، بلاتا:٣١)

وهناك جانب من هذه الأشعار يعكس تفجع نساء اهل البيت بعد استشهاد كل فرد من اهل البيت أو من انصارهم الابرار، ويقرأ ذوي الإصوات الشجيّة من الممثلين الرجال فقط هذه الأشعار مما تفجّر الجماهير المحتشدة بالبكاء والنحيب والتألّم.

لسان حال الجوراء

اعيوني اعله الدرب تتنظر اعيوني دلّـوني الشـريعة وين دلّــوني
اتنظّر چفيلـي راح مـــــاجاني اخـوي البالمجنّه مـا إله ثــاني
معصب هامتي الما أظن ينساني وادري الما تخيب ابهمّته اظنوني
ردنه الماي منّه ريت ما ردناه من راح العلم روحي مشت ويّاه
ضلّت شابحه اعيوني إله وتتناه ما تهنه تراهي وتطبگ اعيوني

(العفراوي، ١٣٨٧هـ.ش:١٣٥–١٣٦)

وعن لسان عقيلة الطالبيين زينب الحوراء تعاتب أخاها العباس عليه السلام عندما انجلى غبار المعركة ولم يبقى من الرجال أحد يحمي العيال، وأدركت أنّ السبي آتٍ لا محال نادت بأعلى صوتها:

عَبـاسْ يَا رَاعِي اِلمْرُوَّه
يَلْمَـا مِثْــلْ خُوَتَك خُوّه
خـويه الظَّعَن لِلسِير نَوَّه
رَايِح بِطِـرِ افْجـُوجْ دَوَّه
بَسّ النِّسِه أوْيــاي إتّلوّه
شُوفِ الْوَكِت بِيَّه اشْسَوَّه

اِبْنـارِ الْهَضُم گَلْبِي تِچَوَّه(المشعلي، ١٤٢٨ق، ص:١١٤)

تمثيل مواقف مابعد المعركة:

ثم سار إبن سعد(في اليوم الحادي عشرمن المحرم) بمن تخلّف من عيال الحسين، وحمل نساءه على أحلاس أقتاب الجمال من دون وطاء، وهنّ ودائع الأنبياء، وساقوهن كم يُساق سبي الترك والروم، في أشدّ المصائب والهموم. فقلن للأعداء: بحق الله إلاّ ما مررتم بنا على مصرع الحسين(عليه السلام).فمروا بهن على المصارع، فلما نظرت النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوهن.(الكعبي، بلاتا، ص:١٠٢-١٠٣)

و لتمثيل هذا المشهد ينشد الممثلين الأبيات الفصحى التالية:

مروا بهن علـى القتلى مطرحة مـابين منعفرٍ في جنب مصطلم

ومذ رأت زينب جسم الحسين على البـوغا خضيباً بدم النحر واللمم

ألقت رداء الصبروانهارت هناك على جسم الحسين كطود خرّ منهدم

ثم يقرأ هذا الممثل أو سواه عن لسان زينب سلام الله عليها وبصوت شجي أبيات نعي شعبي:

ودّعتـك الله يا اعيـــوني

يــردون عنّك يـــاخذوني

زجـر وخــولّه اليباروني

نخيت اخوتي وما جاووبوني

يهل الحميّه مــا تجــوني

امن ايد الأعادي اتخلصوني(المصدرالسابق، ص:١٠٣)

وعن لسان حالها(سلام الله عليها) وهذه المرة في قالب الأبوذية ينعى الناعي:

أحشّم والضعن گفّه مـايتنه

وضل اعله الترب عاري مايتنه

الفرحه اخلاف ابواليمّه مايتنه

اشلون افرح واخوتي اگطعو بيّه(العموري1385ش، ص:٧٩)

ثم إنّ سكينة بنت الحسين (عليه السلام) سألت عمّتها: لمن تخاطبين؟ فأجابتها:أخاطب أباك الحسين.

فألقت بنفسها من محملها إلى جسد أبيها، واعتنقت جثّته.

وبعد ما يدور هذا الحوار القصير بين زينب وسكينة (عليهما السلام) يقرأ ممثل دور السيدة سكينة الأبيات الآتية على أحد الأطوار الشعبية وهو النعي:

يَا والْدِي وَالله هِظيمَه

أصيرْ مِنْ صِغْري يِتيمَهْ

والنُّوح مِنْ بَعْدَك لَجيمَهْ

أثَاري الأبو يا ناس خِيمَهْ

يِفَيِّي عَلَه ابْنَاتَه وحِريمَهْ

فأبكت جميع الأعداء، فقال عمر بن سعد:نحّوها عن جسد أبيها، فاجتمع عليها عدة من الأعراب حتى جروها من على جسد أبيها، فقامت والدموع جارية، وكأنّي بها نادت:

برضاك لو رغمن عليك
يجرني العدو من بين إديك
أصرخ وادير العين ليك
وادري ابحميتك ماتخلّيك
معذور يلحزّو وريديك(المصدر السابق، ص:١٠٥)

النتيجة:

من أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا المقال أن الشعر الشعبي بأنواعه أستخدم في رثاء الحسين وشهداء الطف ولكن لبعض أنواع الشعر في هذا المجال الحض الأوفرومن هذه الأنواع النعي الذي استخدمه الشعراء على المنصات والرواديدفي المراسيم والخطباء على المنابر، كما نجد للشعر الشعبي استخداماً مبتدعاً من جانب الشعراء والفنانين في مسرح أطلق عليه شعبياً التشبيه الحسيني أو الدائرة وفيه يرتجزالمقاتلون من الجانبين ويُرثى الشهداء بالشعر الشعبي.

قائمة المصادروالمراجع

- الباوي، عبدالحسين(١٣٩٢ش)، الجروح النازفة، قم، ط١، منشورات ذوي القربى.
- الجابري، كاظم(١٤١١ق)، أبوذية جابر الكاظمي، قم، ط١، الشريف الرضي.
- الحزباوي، عباس(1420ق)، ونّت گلب، قم، منشورات ذوي القربى.
- الحسيني (١٤١٤م)، علي إبن طاووس، اللهوف في الطفوف، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- الخاقاني(1418ق)، علي، فنون الأدب الشعبي، قم، ط١، انتشارات المكتبة الحيدرية.
- الديراوي، إبراهيم(١٤٠٩ق)، ديوان الديراوي في مراثي أهل البيت، قم، ط١، مطبعة الشهيد.
- الساري، رحيم(١٣٨٨ش)، ديوان الحسچة، قم، ط١، منشورات ذوي القربى.
- ـــــ، رحيم(١٤٣٩ق)، قم، ط١، أصداء الولاء، منشورات ذوي القربى.
- الساري، كاظم(٢٠٠١م)، التشبيه الحسيني، قم، ط١، ذوي القربى.
- العفراوي، خلّاف(1387ش)، ديوان معاني الوفاء في طف كربلاء، قم، انتشارات كارگر.
- ـــــ، خلاف(بلاتا)، مصباح الهدى، قم، ط١، الطهارة.
- العموري(1385ش)، حبيب، ديوان العموري، قم، ط١، حبل المتين.
- الكعبي، عبدالزهراء(بلاتا)، مقتل الإمام الحسين(ع)، النجف الأشرف، مكتبة دار الأندلس.
- الكروشاوي، نعيم(1423ق)، أبوذيات الكروشاوي، قم، ط١، ذوي القربى.
- المشعلي، اسماعيل(١٤٢٨ق)، گلب ملهوف في ملحمة الطفوف، قم، ط١، انتشارات أبي الفضل العباس عليه السلام.
- الموسوي (1428ق)، سيدمهدي، قم، ط١، انتشارات روح.